العرب
الإثنين 2020/09/28
السنة 43 العدد 11834

«الليلة الكبيرة» أيقونة فن العرائس

مسرح العرائس.. معنى أن تكون فنانا في الظل

«ماما لوزة».. بطلة مجهولة في العرض المصري الشهير «الليلة الكبيرة»

مـا من أحد في الوطن العربي لا يذكـر أوبريت "الليلة الكبيرة" الذي يعدّه النقاد أيقونة مسـرح العرائس في مصر. هو أوبريت صاغ كلماته صلاح شـاهين ووضع له الألحان سـيد مكاوي وأخرجه للمسرح صلاح السقا. لكـن لا أحد يعرف مـن يقف وراء تحريك تلك الدمىٰ من خلف السـتارة. فوزيـة عبداللطيف، الشـهيرة بـ"ماما لـوزة"، واحدة مـن أولئك النجوم الذيـن قبعوا في الظل حتىٰ كاد يلفّهم النسـيان. "العرب" حاورت الفنانة السـبعينية التـي تعدّ إحـدى رائدات فـن تحريك العرائـس في مصر والعالم العربي.

رحاب عليوة
كاتبة مصرية

لـن يفيـد البحث عبر محـرك غوغل في الوصول إلىٰ اسـم الفنانة المصرية فوزيـة عبداللطيف، ولن يعرف اسـمها الكثيـر مـن المعجبـين والمتابعـين لفن مسرح العرائس.

لكن أُذكر أوبريت العرائس الشـهير "الليلـة الكبيرة" في المولد الشـعبي، ثم تحدّث عن شـخصيات: الفتـاة التائهة فـي المولد، والقهوجـي، وعازف الطبل، وبائـع الحمـص.. لتجـد الكثيـر مـن المتابعات، بينما فوزيـة أو كما اعتادت عائلـة المسـرح مناداتها "مامـا لوزة" هـي من بثّت الحياة فـي الكثير من تلك الشـخصيات الماريونيتيـة وجعلتهـا ترقص وتتحرّك، لتصبح أمام شخصية عاشت حياتها الفنية في الظل.

ذاكرة مسرحية

تجسّـد الفنانة السـبعينية محركة العرائـس، فوزيـة عبداللطيـف، ذاكرة مسـرح العرائـس العريق علـىٰ وهنه الآني وشـيخوخته، حيث تتّسم مرحلة الشـيخوخة بندرة فـي الإنتاج لا يماثل الماضـي، لـذا فـإن كليهما، مامـا لوزة ومسرح العرائس، يعيشان الطور نفسه.

تعـدّ عبداللطيـف إحـدى رائـدات فـن تحريك العرائس فـي مصر، قادتها الصدفـة البحتة إلىٰ عالـم لم تكن علىٰ دراية بـه من قبل، وباتـت صانعة فيه، تحرك العرائس، وترسـخ للفن، وتجول العالم بعـروض الفرقة التي أنشـأتها وزارة الثقافة المصرية في الخمسـينات من القرن الماضي.

ورغم الخبرة الكبيـرة التي تملكها والعرائس التي جمعتها في إحدى غرف منزلها، حيث توجد أكثر من مئة عروسة، فإنهـا هجـرت الفن مع وصولها لسـن التقاعد قبـل أكثر من 15 عاما، لكن الفن الذي أحبته وخبرته لا يبرح ذاكرتها أو منزلهـا، وورثت ابنتهـا وزوجها المهنة ذاتهـا، وتخشـىٰ أن يتسـرّب العشـق ذاته إلـىٰ حفيديها، فيضطران أن يعيدا مسيرة حياة في الظل.

والظل الـذي يرتبـط دائما بمحرك عرائس الماريونيت، حيث يمنح من روحه إلىٰ عروسة خشبية تغازل الجمهور، لن يؤلم صاحبه كثيرا، إذا كان مـردود ما يفعله بارزا، لكـن أن يعيش الفنان وفنه في الظـل فهـذا مـا لا يُطـاق. وما لا يطـاق أيضا، بالنسـبة لـ"مامـا لوزة" التي اسـتقبلت "العرب" في منزلها، أن يرتبط فـن العرائس العريق في الذاكرة الشعبية بعمل واحد فقط، وهو أوبريت "الليلة الكبيرة".

«ماما لوزة»: تحريك العرائس يعلّم صاحبه المثابرة والقناعة والتواضع

وهن مضاعف

رغم عشق "ماما لوزة" لعملها الذي استثمرت سنوات من عمرها فيه، لكنها تتذكّـر بحسـرة أعمـالا أخـرى رائعة، تتجاوز في حلاوتها ذلك الأوبريت، منها عـروض حملت فلسـفة عميقـة وكانت سـباقة لكنها لـم تأخذ حقها، وتسـأل بحسـرة، "ربما لو أعيـد تقديمها الآن لفهمها الجمهور"، لكنها تتذكر الوضع الحالي لمسرح العرائس فتصمت.

وتقول "كـي يزدهر ذلك الفن مجددا لا بد أن ترعـاه الدولة وتؤمن بأهميته، خصوصا وهو موجه بالأساس للأطفال، ومن ثم للأسـرة، فالطفـل لن يذهب إلىٰ المسـرح بمفرده، ولا بـد أن يكون لذلك الفـن كتابا قادرين علىٰ الكتابة لمسـرح العرائس، وتوظيف إمكانياته، وتحقيق الإبهـار، وفـي نفـس الوقت الرسـالة متعددة المستويات".

ألـم تفكّري في افتتـاح أكاديمية أو مسـرح خـاص؟ طرحت "العـرب" هذا السـؤال علىٰ "ماما لوزة" التي خطرت الفكرة ببالهـا من قبل بالفعل، لكن حال دون تنفيذها البيروقراطية والتسويق، وبـات النـاس يعتقـدون أن مسـرح العرائس اندثر من بعد "الليلة الكبيرة"، أما صنـاع المسـرح والفرق المسـتقلة فيخشـون من المخاطـرة، ويلجأون إلىٰ استنساخ "الليلة الكبيرة" وعرضه دون إجادة فيشوّهون العمل الرئيسي.

تعـود فوزية عبداللطيـف بالذاكرة لنشـأة ذلك الفن في مصر، فتقول "كنت قـد أنهيت للتوّ دراسـتي الثانوية، ولم أرغـب في دخول الجامعة بـل أردت أن أبـدأ حياتـي المهنيـة، بالصدفة رأيت إعلانا في جريدة يطلبون شـبابا حديثـي التخرّج للمشـاركة في مسـرح العرائـس، ولـم أكن قد سـمعت بـه من قبـل، لكن الفضـول والرغبـة في العمـل دفعاني للذهاب في الموعد، وكان العنوان مسرح الطليعة، ووجدت عشرات يقدمون".

وتضيـف "أخضعونـا لاختبـار لم يكن يتطلب مهـارات معينة، فقط القدرة علىٰ تأدية الحركات التي يمليها المدرب والمثابرة، ولم يصمد في النهاية سـوى 20 شخصا، كنت واحدة منهم".

وتتابـع "تدربنا علـىٰ أيدي مدربين مصريـين تلقوا تدريبا علىٰ أيدي خبراء أجانـب، وكنـا الدفعة الثانيـة في ذلك الفـن، وجلبـوا لنا مدربـين أجانب في مراحل أخرى، فضـلا عن الفائدة الحية التي كنـا نتحصـل عليها عند السـفر والمشاركة في مهرجانات بالخارج".

أصبحـت الفرقـة 12 شـخصا (المحركـين)، وجاء وقت عـرض أوبريت "الليلـة الكبيـرة" لأول مـرة، مـا مثـل طفـرة في ذلـك الفن، وكان فـي البداية عـن أوبريـت غنائـي في الإذاعـة، غير أن شـهرته في العرائـس فاقت توقعات القائمين عليه.

وتوضـح فوزيـة لـ"العـرب"، "كنا نتوقع نجـاح الليلة الكبيرة، وكان يملك عوامـل النجـاح والشـعبية، فالكلمات لصـلاح جاهين والألحان لسـيد مكاوي دون الحديـث عـن جماليـة العرائس، علاوة علىٰ الرمزيـة الكبيرة للمولد في الوجدان الشـعبي، لكننا لم نكن نتوقع أن يصبـح العمل في ذاتـه رمزا، كما أن الكثير مـن الأعمال الأخـرى كنا نتوقع نجاحها، لكن سرعان ما تُنسىٰ".

وترجـع "ماما لوزة" خلـود "الليلة الكبيرة" إلىٰ التلفزيـون، الذي صوّرها ودأب علىٰ إذاعتها حتـىٰ باتت أيقونة، فيما تعـجّ أدراج الوزارة أو الشـركات الخاصـة التي صوّرت عروض مسـرح العرائـس لحسـابها بعـروض أخـرى حبيسة لم تخرج إلىٰ النور.

صورة أرشيفية من كواليس «الليلة الكبيرة»

فن متكامل

كسـب عـرض "الليلـة الكبيـرة"، وغيره من عروض المسـرح، الذي كانت توضع له ميزانيات كبيرة، تتجاوز الـ10 آلاف جنيـه، وهـو مبلغ ضخـم في ذلك الوقت، جماهيرية عظيمة، وبات مسرح العرائس يقدّم أربعـة عروض في اليوم الواحد لمدة خمسـة أيام أسبوعيا، كلها تلقىٰ إقبالا كبيرا.

اختبـر المصريـون ذلـك الوقت فن العرائـس للمرة الأولـىٰ، وبات الحديث عـن الطريقة التي تتحرّك بها تلك الدمىٰ المسحورة محل تساؤلات.

تشير فوزية عبداللطيف في حوارها مع "العـرب"، إلىٰ أن الجمهـور لم يكن يعرفها، وكانت العروض تقدّم من خلف السـتار، وبعد انتهاء العرض تسـتقل أتوبيس النقل العـام، بصحبة جماهير كانـوا فـي العرض، وذات مرة سـمعت أحدهم يسأل الآخر عن كيف تتحرّك تلك العرائس، فـرد عليه الآخـر بالكهرباء، فابتسمت دون أن تتدخل في الحديث.

وعـن سـؤال "العرب"، هـل تحريك العرائس فن أم عمل تقني؟ تقول "تحريك العرائس ليـس مجرد حركـة بلا هدف أو معنـىٰ، بل هـي جوهر فن ومسـرح العرائـس، فالمحـرك لا يقـدّم حـركات ميكانيكيـة، لكنـه يتقمّص الشـخصية التي يحركها تماما مثل الممثل، لذا يجب أن يدرسها ويعرف حركتها، العبء علىٰ محـرك العرائس كبير، فهـو يصل بين الشخصية والجمهور، ويصبح التحدي هل يسـتطيع أن يجذبه ويبهره ويقنعه ويربطه بتلك الشخصية أم لا".

ولفتـت "مامـا لوزة" إلـىٰ المجهود العضلـي الكبير فـي ذلك الفـن، حيث يحتاج إلىٰ ليونة وقـدرة علىٰ التحريك الذي يجعل المحرك ممسـكا بنحو تسعة خيـوط أو أكثر في يـده، ويحركها معا، مركزا علىٰ أن تنسـاب حركة الوجه مع اليد مع القدم مع الوسط.

ويتجـاوز المجهـود الذهني في ذلك العمل مثيلـه العضلـي، ويتطلب قدرة فائقـة علـى التصرّف، فخـلال العرض قد يواجـه المحرك أي شـيء، كأن تنفك العروسـة، أو ينقطع الخيـط، وبالتالي عليه أن يحسن التصرّف سريعا.

لـم تقـدّم "مامـا لـوزة" تدريبـات لأجيال جديدة فـي التحريك، فهي حتىٰ سـن التقاعـد، كانـت تُحرّك فـي فرقة مسـرح العرائس التابعة لوزارة الثقافة المصرية، ومع ذلك حين أمسكت عروسة من جديد، بناء علىٰ طلبنا، بدأت الشرح عليها بسلاسـة، منعشـة كل مـا تلقته وتعلمته من ذلك الفن.

> الصدفة وحدها قادت الفنانة المصرية إلى المسرح، وباتت محترفة فيه، تحرك العرائس وتجول العالم

وتجـزم فوزيـة عبداللطيـف أن التحريـك فـن لا يُنسـىٰ، وقـد تتراجع قـدرات صاحبه بفعـل عوامل كثيرة في مقدّمتها السـن، لكن تبقىٰ ميكانيزميته وفلسـفته راسـخة، تطبع مـن صفاتها علىٰ صاحبها، فتعلمه المثابرة والقناعة والتواضع دون أن تكبح الطموح داخله.